ومدّ َ إليها الفيلسوفُ يمينهُ ... فجاذبها أخذاً وأوسعَها ضغطا .
فصارت عصاً في كفّ ِه وأجنّ َها ... فأخرجها بيضاء َ تجلو الدّ ُجى كشطا .
فلم أرَ ثعباناً أذلّ َ لعالِمٍ ... سواها ولا منها على جاهلٍ أسطى .
هي المركبُ الصعبُ المرامِ وإنّ َها ... ذلولٌ ولكنْ لا لكلّ ِ من استمطى .
فأ َعْجِبْ بها من آيةٍ لمفكّ ِرٍ ... يُقصّ ِر عن إدراكها كلّ ُ من أخطا .
وأعجبُ من أحوالها تلك عَوْدُها ... إلى حالها بَدءاً إ ِذا ملكتْ هبطا .
وتفجيرُها من صخرةٍ عَشْرَ أعيُنٍ ... واثنتين تسقي كلّ ُ واحدةٍ سِبْطا .
وتفليقُها رَهواً من البحرِ فاستوى ... طريقاً فمِن ناجٍ ومن هالكٍ غمطا .
فتلك عصانا لا عصا خيزرانةٍ ... ولكنّ َ لِين الدّ ُهنِ صيّ َرها نِفطا .
وخضراء َ للشطآنِ تحت ظلالها ... مَقيلٌ تقي عن بردِ ِه الرومَ والقِبطا .
تسيل بماء الخُلد أبيضَ صافياً ... إ ِذا ما شرطناها على ساقها شرطا .
ومن قبل ما أغوى أبانا بذوقها ... فذاق فأخطا والقضاء فما أخطا .
قطفتُ جناها واعتصرتُ مياهَها ... فأجمدتُ ما استعلى وذوّ َبتُ ما انحطّ َا .
وليّنة الأَعطاف قاسية الحشا ... إ ِذا نفثت في الصخر تصدعَهُ هبطا .
كأ َنّ َ عليها من زخارفِ جلدها ... رداءً من الوشيِ المُفوّ َفِ أو مِرطا .
تَوَصّ َلَ إبليسٌ بها في هبوطه ... إلى الأَرضِ من عَدْنٍ ففارقها شحطا .
وكانت وشَيْطائيلُ حرباً لآدمٍ ... وحوّ َاءَ ما داما على الكرة الوسطى .
أمتّ ُ بها حيّ ًا وسوّ َدتُ أبيضاً ... وأسرعتُ في قلع السواد فما أبطا .
وأحييتُ تلكَ الأرضَ من بعد موتها ... بريّ ٍ وكانت تشتكي الجدب والقحطا .
ولاقطة حَبّ َ القلوب بحسنها ... تُعذّ ِبها شوقاً وتقتلها نَحطا .
كأ َنّ َ العيونَ الثابتاتِ بخصرها ... عُقِدْنَ نطاقاً أو على جيدها سِمطا .
كأ َنّ َ من البدر المنير مشابهاً ... ومن أنجمُ الجوزاء في أذنها قُرطا .
كأ َنّ َ من الصّ ُدغ الذي فوق خدّ ِها ... على ورده نوناً ومن خاله نَقطا .
ظفرتُ بها بالنفس من جِسم أُمّ ِها ... كما ظفرتْ بالقلب في صدره لَقطا .
ورضعتُها بالدرّ ِ من ثدي بنتها ... فعاشت وكانت قبلُ ماتت به عَبطا .
وصيّ َرتُها بنتاً وصيّ َرتُ بنتَها ... لها مُرضعاً فاعْجَبْ لراضعةٍ شَمطا .
فحالت هناك البنتُ والأُم دفعةً ... فتًى لم يزاحمه العِذارُ ولا اخْتطّ َا .

لهُ منظرٌ كالشمس يُعطي ضياءه ... وليس كمثل البدر يأخذُ ما أعطى .
فهذا الذي أعيا الأَنامَ فأضمروا ... لمن وضع الأَرمازَ في علمه سخطا .
وهذا هو الكنز الذي وضعوا له ... بَرابِيَّ إخميمٍ وخصّوا بها قِفطا .
وتحصيله سهلٌ بغير مشقّةٍ ... لمن عرف التطهيرَ والعقدَ والخلطا .
وأقدرُ إنسانٍ عليه مُجَرّبٌ ... أقام بنورِ القلب في وزنه القِسطا .
أبا جعفرٍ خُذْها إليك يتيمةً ... تَوَرّع لوقا أن يورِّثها قُسطا .
ولكنّني لمّا رأيتُك أهلَها ... سمحتُ بها لفظاً وأثبتُّها خطّا .
ومن شعره أيضاً في الصناعة : .
لقد قلبتْ عيناي عن عينه قلبي ... بليّنة الأَعطافِ قاسية القلبِ .
يهيمُ الفتى الشرقيُّ منها بغادةٍ ... تشوق إلى شرقٍ وترغب عن غربِ